الإسلام والإيمان
في القرآن الكريم
دلالة وآثارا

الدكتور

توفيق يوسف الواعي

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والدعوة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الكويت

٨٤٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

==========

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه والسالكين سبيله والداعين بدعوته إلى يوم الدين . . .

وبعد ؛؛؛

فللخطاب القرآني خصائص ومزايا ، ومن هذه الخصائص والمزايا الواقعية على معنى أنه يخاطب الإنسان من خلال واقعه قوة وضعفا ، وضوحا والتواء ، إيجابا وسلبا ، أما القوة والوضوح والإيجاب فينميه ويزكيه ، أما الضعف والالتواء والسلب فيرشد إلى سبيل التخلص منه ، كما أنه يبين أسلوب التعامل مع كل حال من هذه الأحوال .

والإيمان والإسلام خير ما يوضح ذلك ، إذ مرة يلتزم المرء بجوارحه مع خلو قلبه وفراغه من الإيمان ويرشد الحق إلى ذلك بقوله :

"قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم"

(الحجرات : ١٤)

ويرتب على ذلك أحكاما : جاء تفصيلها في مواضع أخرى من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

ومرة يؤمن المرء من داخله ، ولا يبدي ذلك بجوارحه لسبب أو لآخر ، ويعبر الحق عن ذلك بقوله :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله"

(غافر: ٢٨)

ويرتب على ذلك أحكاما يفصلها في مواضع أخرى من هذا الكتاب وفي سنة نبيه محمد ﷺ.

ومرة يؤمن المرء بقلبه ويعمل بجوارحه، ويعبر الحق عن ذلك بقوله:

"توفني مسلما وألحقني بالصالحين"

(يوسف: ١٠١)

وبقوله تعالى:

"إني آمنت بربكم فاسمعون"

(يس: ٢٥)

ويرتب على ذلك أحكاما يبينها في مواضع أخرى من الكتاب والسنة، ويخطئ نفر من الناس في تصور وإدراك هذه الخاصية في الخطاب القرآني، ويفهمها على غير وجهها، ويرتب على ذلك أحكاما ما أنزل الله بها من سلطان.

من هنا لزم وضع النقاط على الحروف بالنسبة لمدلول الإسلام والإيمان، والآثار المترتبة على ذلك حماية للمخاطبين من الانحراف أو الميل عن طريق الله المستقيم.

فكانت هذه الدراسة بعنوان: "الإسلام والإيمان في القرآن الكريم: دلالة، وآثارا".

وتسهيلا للتناول جعلتها في:

مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة على النحو التالي:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- المقدمة : وتتضمن الحديث عن :

  أ- أهمية الموضوع وسبب اختياره .

  ب- خطة الدراسة والبحث .

- الفصل الأول : مدلول كلمة إسلام في القرآن وتطورها التاريخي ، ومحتواها وآثارها .
- الفصل الثاني : مدلول كلمة إيمان في القرآن ، ومحتواها ، وآثارها وعلاقتها بالإسلام .
- الفصل الثالث : مبطلات الإيمان والإسلام .
- الخاتمة في : نتائج الدراسة ، ومقترحات وتوصيات .
- جريدة المصادر والمراجع .
- الفهرس .

هذا . . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؛؛؛

د. توفيق الواعي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول
معنى كلمة إسلام في القرآن وتطورها التاريخي ومعناها وآثارها

==========

▫ معنى الإسلام والتطور التاريخي لهذه الكلمة :

من معاني الإسلام في اللغة : الانقياد ، والدخول في السلم ، أو في دين الإسلام، أما في الشرع فيأتي بمعنى الإخلاص لله في العبادة ، وعلى هذا فالإسلام على دربين :

أحدهما : دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان ، وأعمال الجوارح الظاهرة ، كالشهادتين والصلاة وسائر أركان الإسلام ، وبه يحقن الدم ، وإياه يقصد بقوله تعالى:

"قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم"

(الحجرات : ١٤)

والثاني : فوق الإيمان : وهو أن يكون مع الاعتراف باللسان وعمل الجوارح الظاهرة ، اعتقاد بالقلب ، ووفاء بالفعل ، واستسلام لله تعالى في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين"

(البقرة : ١٣١)[١]

هذا وقد ذكر الإسلام في القرآن بهذا المعنى ٧٠ مرة ، وقد تطرقت هذه الآيات إلى معاني ودلالات منها :

١) تسمية أمتنا بـ"المسلمة" وديننا بـ"الإسلام" :

اتفق أئمة السلف على أن الله تعالى لم يذكر أمة بالإسلام غير هذه الأمة ، ولم يسمع بأمة ذكرت به غيرها ، قال تعالى :

"ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل"

(الحج : ٧٨)

وقال تعالى :

"ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه"

(آل عمران : ٨٥)

وقال تعالى :

"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"

(المائدة : ٣)

ووجه اختصاص الأمة المحمدية بهذا الاسم "الإسلام" هو أن الإسلام اسم للشريعة المشتملة على العبادات المختصة بهذه الأمة ، ويؤكد هذه المعنى ما سبق أن أشرنا إليه في قوله تعالى : "ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين" ، فالضمير "هو" يرجع لإبراهيم عليه السلام ، حيث دعا بذلك لنفسه ولولده ، ثم دعا لأمة من ذريته ،

---

(١) انظر : لسان العرب ، وبصائر ذوي التمييز ، ولزيادة إيضاح الفرق بين الإسلام والإيمان ، انظر : إيمان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هي هذه الأمة ، فقال : "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم" (البقرة : ١٢٩) ، فاستجاب الله دعاءه فبعث محمدًا ، وسمى أمته بالمسلمين (١) .

٢) إطلاق اسم "الإسلام" على ملل الأنبياء السابقين :

صرح القرآن بإطلاق اسم الإسلام على أمم سابقة في كثير من الآيات منها :

"قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون"

(البقرة : ١٣٣)

وقوله تعالى :

"وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون"

(المائدة : ١١١)

وقوله تعالى :

"فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين"

(الذاريات : ٣٥،٣٦)

وللعلماء في إطلاق الإسلام على ملل الأنبياء السابقة وأتباعهم رأيان :

١- يرى أن الإسلام يطلق على الملل السابقة واحتج بما ذكرنا من الآيات ، وبقوله تعالى :

"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"

(الشورى : ١٣)

---

(١) انظر : فتاوى أحمد بن حجر الهيتمي ، ص١٢٦ ، وروح المعاني في الآية ١٧/٢١٠ إحياء التراث .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- يرى أنه لم توصف به الأمم السابقة ، وإنما وصفت به الأنبياء فقط ، وشرفت هذه الأمة بأن وصفت بما وصف به الأنبياء تشريفا لها وتكريما .

وقد فصل في القضية الإمام ابن تيمية فقال : (وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى : هل هم مسلمون أم لا ؟ فالإسلام الحاضر الذي بعث الله به محمدا ﷺ المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ ، والإسلام عند الإطلاق يتناول هذا ، أما الإسلام العام - بمعنى الاستسلام - لكل شريعة بعث الله بها نبيا فإنه إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء ، وعلى هذا ممكن أن تفهم الآيات التي جاءت في القرآن الكريم على هذا المعنى) .

٣) ما يصير بها الإنسان مسلمًا :

ذكر العلماء أن هناك طرقا ثلاثة يحكم بها على كون الشخص مسلما ، وهي النص ، والتبعية ، والدلالة .

أ. الإسلام بالنص : قال تعالى :

"قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"

(البقرة : ١٣٦)

قال العلماء : حكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين أو ما يؤدي معناهما لتقام عليه أحكام الشريعة فيما له وما عليه ، إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه ، ولهذا حكم الرسول ﷺ بإيمان الجارية التي سأله عنها رجل حينما قال له : يا رسول الله ، إن أمي أوصت أن أعتق عنها رقبة مؤمنة ، وعندي جارية سوداء نوبية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفأعتقها؟ قال : "ادعها" ، فدعوتها ، فجاءت ، فقال : "من ربك ؟" قالت : الله ، قال : "فمن أنا ؟" ، قالت رسول الله ، قال : "اعتقها فإنها مؤمنة(١)".

ب. الإسلام بالتبعية : إسلام الصغير بإسلام أبويه :

اتفق العلماء على أنه إذا أسلم الأب وله أولاد صغار أو من في حكمهم — كالمجنون إذا بلغ مجنونا — فإن هؤلاء يحكم بإسلامهم تبعا لأبيهم ، وذهب الجمهور إلى أن العبرة بإسلام أحد الأبوين ، قال تعالى :

"والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم"

(الطور : ٢١)

ت. الإسلام بالدلالة : قال العلماء :

الأصل أن الكافر متى فعل عبادة تختص بشرع المسلمين : كالصلاة في جماعة، والحج الكامل ، والآذان في المسجد ، وقراءة القرآن عن طواعية ورضى : يكون بذلك مسلما ، ولو لم يعرف عنه النطق بالشهادتين ، لقوله ﷺ : "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم ، الذي له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا الله في ذمته"(٢).

---

(١) عون المعبود ٣ : ٢٢٧ ط الهند ، والنسائي ٦ : ٢٥٢ ط المكتبة التجارية .

(٢) البخاري : فتح الباري ١: ٤٩٦ ، ط السلفية ، وهذا عليه تفصيل بين العلماء ينظر إليه في كتب الفقه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

▫ محتوى الإسلام وآثاره :

➢ أركان الإسلام :

أركان الإسلام خمسة لما رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "بنيَّ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان"(١) .

الركن الأول : شهادة أن لا إله إلا الله : لقوله تعالى :

"وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون"

(الأنبياء : ٢٥)

وقال ﷺ : "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" والإيمان برسالة محمد ﷺ هو : إيمان بجميع ما جاء به من عند الله ، وما تضمنته رسالته ، وإيمان بجميع الرسل ، وتصديق برسالتهم ، انظر : شهادة .

الركن الثاني : إقامة الصلاة : ووجوب الصلوات الخمس من المعلوم من الدين بالضرورة بالكتاب والسنة والإجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى :

"إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا"

(النساء : ١٠٣)

وأما السنة ، فقد سئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ "الصلاة لمواقيتها(٢)" .

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، فتح الباري : ٤٩/١ ط السلفية ، وصحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٤٥/١ .

(٢) رواه البخاري ، ومسلم ، فتح الباري : ٢ط السلفية ، وصحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٩٠/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الركن الثالث : إيتاء الزكاة : وقد قرنت الزكاة في القرآن الكريم بالصلاة في اثنتين وثمانين آية ، منها قوله تعالى :

"الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة"

(الحج : ٤١)

الركن الرابع : الصيام : وهو ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أيامًا معدودات"

(البقرة : ١٨٣،١٨٤)

وقوله تعالى :

"فمن شهد منكم الشهر فليصمه"

(البقرة : ١٨٥) ، (انظر : الصيام)

الركن الخامس : الحج : والأصل في وجوبه قوله تعالى :

"ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا"

(آل عمران : ٩٧)

وقوله تعالى :

"وأتموا الحج والعمرة لله"

(البقرة : ١٩٦)

ومن السنة قوله ﷺ : "إن الله فرض عليكم الحج فحجوا[١]" .

> إسلام الوجه :

عبر القرآن في بعض الآيات عن الإسلام بإسلام الوجه كقوله تعالى :

---

(١) مسلم : ٩٧٥/٢ ط الحلبي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي : انظر الحج .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (البقرة : ١١٢)

وقوله تعالى :

"ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن"

(النساء : ١٢٥)

وقوله تعالى :

"ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن" (لقمان : ٢٢)

وقد عبر القرآن في هذه الآيات بالوجه عن النفس ، أي أخفض نفسه وجعلها سالمة له لا تعرف ربا ولا معبودا سواه ، قال ابن كثير في قوله تعالى "ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله" أي : أخلص العمل لربه عز وجل ، فعمل إيمانا واحتسابا ، واتبع في عمله ما شرعه الله له ، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق ، وهذان شرطان لا يصلح عمل عامل بدونهما ، أي يكون خالصا صوابا يصح ظاهره بالمتابعة ، وباطنه بالإخلاص ، فمتى فقد العمل أحد الشرطين فسد ، فإذا فقد الإخلاص كان منافقا ، وإذا فقد المتابعة كان ضالا جاهلا(١) .

- الإسلام والنعمة الكبرى :

أخبرنا القرآن أن الإسلام نعمة من الله ومنة مِنَّه للمؤمنين ، فقال تعالى :

"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"

(المائدة : ٣)

فالإسلام أكبر نعم الله على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه

---

(١) تفسير ابن كثير : ٥٧٢/١ ط دار المعرفة ، انظر : وجه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق ، أنزل به أشرف كتبه ، (انظر : نعمة ، ودين) .

➢ النهي عن المن بالإسلام :

نهى القرآن الكريم أن يمن المسلم بإسلامه على الإسلام والمسلمين ، لأن نفع ذلك يعود على الإنسان نفسه ، والله غني عن العالمين : "إن تتولوا يستبدل قوما غيركم" ، وقال تعالى :

"يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين"

(الحجرات : ١٧)

بل لله الفضل والمنة أن أمدكم بتوفيقه ، حيث هداكم للإيمان كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين : "يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وكنتم عالة فأعناكم الله بي ؟ وكلما قال شيئا قالوا : والله ورسوله أمن" . وروىَّ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : جاء بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، أسلمنا ، وقاتلتك العرب ولم نقاتلك، فقال رسول الله ﷺ : "إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم" . ونزلت هذه الآية :

"يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين"

(الحجرات : ١٧) (١)

(١) انظر : تفسير بن كثير ، وانظر : روح المعاني في تفسير الآيتين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني
معنى كلمة إيمان في القرآن ومعناها وآثارها وعلاقتها بالإسلام

==========

▫ معنى الإيمان والتطور التاريخي لهذه الكلمة :

الإيمان لغة : التصديق ، وهو مصدر آمن يؤمن إيمانا ، فهو مؤمن ، قال تعالى:

"قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا"

(الحجرات : ١٧)

كما أطلق الإيمان على إظهار الخضوع والقبول للشريعة مع الاعتقاد والتصديق بالقلب ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، وعلى ذلك قوله تعالى :

"والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون"

(الحديد : ١٩)

وعلى هذا فالإيمان الشرعي هو : التصديق الجازم بوجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته وسائر صفاته وكمالاته التي لا تتناهى ، وبأن محمدا رسول الله ﷺ، وأن جميع ما جاء به من أوامر ونواه تشمل الحقيقة والشريعة صدق وحق لا ريب فيه، ولاشك وأن يصحب ذلك نطق باللسان مع العمل بما صدق به وآمن .

هذا . . . وقد ورد الإيمان في التنزيل عل خمسة أوجه :

الأول : بمعنى إقرار اللسان كقوله تعالى :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا" (المنافقون : ٣)

الثاني : بمعنى التصديق في السر والإعلان كقوله تعالى :

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية" (البينة : ٧)

الثالث : بمعنى التوحيد وكلمة الإيمان ، كقوله تعالى :

"ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله" (المائدة : ٥)

الرابع : بمعنى المدخول في شرك ، كقوله تعالى :

"وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون" (يوسف : ١٠٦)

وقوله تعالى :

"ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" (الزخرف : ٨٧)

الخامس : بمعنى الصلاة ، كقوله تعالى :

"وما كان الله ليضيع إيمانكم" (البقرة : ١٤٣)[١]

▫ علاقة الإيمان بالإسلام :

يجتمع الدين كله في الإيمان والإسلام ، وقد أكثر العلماء الكلام في حقيقة الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما ، وما يستفاد من كلام النبي ﷺ مع ما يستفاد من كلام الله تعالى هو الفيصل في ذلك ، وتحرير ذلك بما يلي :

انقسم علماء طائفة أهل السنة والجماعة على فريقين :

أحدهما : يقول : الإسلام غير الإيمان ، وهما اسمان واقعان على معنيين منفصلين ، وإن اتحدا أحيانا واتفقا في المعنى .

---

(١) بصائر ذوي التمييز : ٢/١٥٠ ط دار الكتاب المصري .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والثاني : يقول : الإسلام هو الإيمان ، وهما لفظان مترادفان[١] .

➢ الفريق الأول :

القائلون : إن الإسلام والإيمان واقعان على معنيين ، وأنه قد يكون مسلم غير مؤمن ، وقد يترادفان أحيانا حسب مناسبة الكلام على الموضع المستدعي ذلك ، قال الخطابي : المسلم يكون مؤمنا في بعض الأحوال ، ولا يكون مؤمنا في بعضها ، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال[٢] ، وهذا مذهب أصحاب الحديث[٣] ، ومنهم الأئمة : مالك[٤] ، والشافعي[٥] ، وأحمد[٦] ، وعزاه الأستاذ أبو منصور البغدادي إلى أصحاب الأشعري[٧] ، وممن قال به الحسن ، ومحمد صاحبا أبي حنيفة ، وابن أبي ذئب ، وحماد بن زيد ، شريك ، والزهري[٨] ، وعدد من الصحابة والتابعين .

ولهم على ذلك حجج من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة .

حجة الفريق الأول :

على مغايرة الإيمان للإسلام من القرآن الكريم احتجوا بقوله تعالى :

---

(١) العقائد السلفية ص١٥٩ ، وأشار إلى بعض هذا في الفصل لابن حزم ٢٢٥/١ ، وفي النووي على مسلم ١٢٣/١ .

(٢) انظر : مسلم بشرح النووي ١٢٣/١ .

(٣) انظر : المصدر الأنف ١٢٥/١ ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ٣٤٧/١ .

(٤) نقله عن مالك الخلال في مسنده ضمن جامعة ج٣ ، ورقة ١٠٣ مخطوطة .

(٥) مناقب الشافعي للبيقهي ٣٩٦/١ الصفحة الأولى منها .

(٦) مسند الخلال ج٣ ، ص١٠٢ .

(٧) مقدمة طبقات الشافعية لابن السبكي ٩٦/١ .

(٨) حكاه عنه وذكر نص قوله في مسلم بشرح النووي ١٢٣/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم"

(الحجرات : ١٤)

قال الشافعي تعليقا على الآية : فأعلمه ـ أي أعلم رسوله ـ أنه لم يدخل الإيمان قلوبهم ، وأنهم أظهروه وحقن به دماءهم(١) ، وكان قبيل ذكر هذه الآية ذكر في رواية الزعفراني من القديم تعليقا على حديث "اعتقها فهي مؤمنة(٢) فقال : وفي هذا الحديث دلالة على أن وصف الإسلام : إسلام ، يوجب لصاحبه اسم الإسلام ، والإسلام : الإيمان(٣) .

قال البيهقي : قلت : وفي هذا إشارة من الشافعي ـ رحمه الله ـ إلى أن الإيمان والإسلام اسمان لمسمى واحد إذا كانا حقيقة ، أو كانا باللسان دون العقيدة في حقن الدماء ، وإنما يفترقان إذا كان أحدهما حقيقة ، والآخر بمعنى الاستسلام خوفا من السيف(٤) .

وكذلك قول اله تعالى :

"إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ، قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم ، يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين"

(الحجرات : ١٥ : ١٧)

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي : ٣٩٦/١ .

(٢) الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٠/٢ ، وفي مسند أحمد : ٢٩١/٢ .

(٣) مناقب الشافعي : ٣٩٥/١ .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي : ٣٩٦/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن السنة :

أ- بما رواه الشيخان أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وسعد جالس ، فترك رسول الله ﷺ رجلا هو أعجبهم إليه ، فقال : يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا ، فقال : "أو مسلما"(١) .

فلو كان الإسلام والإيمان بمعنى واحد دائما لم استدرك الرسول ﷺ على سعد، ينكر أن يكون الرجل مؤمنا بل سماه مسلما ، لأنه نطق بالشهادتين خوفا ، ولذلك جاء في تكملة الحديث (فسكت قليلا ، ثم غلبني ما أعلم منه ، فعدت لمقالتي فقلت : ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا ، فقال "أو مسلما ؟" ، ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي ، وعاد رسول الله ﷺ ، ثم قال : "يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يكبه الله في النار" .

ب- وبحديث مجيء جبريل إلى الرسول ﷺ المستفيض الصحيح عندما أخذ يسأل الرسول ﷺ عن الإسلام ؟ فأجابه النبي بقوله : "أن تعبدوا الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان" .

وعن الإيمان فأجابه النبي ﷺ بقوله : "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث"(٢) .

ولو كان الإيمان والإسلام شيئاً واحداً دائما لما سأله عن كل منهما جبريل عليه السلام على حدة ، ولما أجاب الرسول ﷺ - وهو عربي اللسان - عن كل منهما بجواب مستقل ، وإلا لصح التفريق بين مجتمعين متلازمين في المعنى ، فكون جوابه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : ١٣/١ وغيره .

(٢) صحيح البخاري : ١٩/١، ٢٠ ، وفي صحيح مسلم باب ١ حديث ٨ : ١ : ٣٦ ــ ٣٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ﷺ بما أجاب : لم يجمع بين مفترقين يجوز عليهما الافتراق في المعنى أحيانا كما في تلك الحالة فلا ينفي اجتماعهما في صورة أخرى على حالة أخرى في المعنى .

وقال البغوي : جعل النبي ﷺ الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال ، وجعل الإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد ، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد ، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان ، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام ، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد ، وجماعها الدين ، ولذلك قال ﷺ : "جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" .

قال سليمان الخطابي : المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال ، وقد لا يكون مؤمنا في بعضها ، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال ، لأن أصل الإسلام : الاستسلام والانقياد .

وأصل الإيمان : التصديق ، وقد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن ، ولا يكون صادق الباطن وغير منقاد في الظاهر ، فإذن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا(١) .

ت- وكذا احتجوا بقول الرسول ﷺ في حجة الوداع : "ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . . . والمسلم ؟ من سلم الناس منة لسانه ويده . . " الحديث(٢) .

ث- وحديث "الإسلام علانية والإيمان في القلب"(٣) .

---

(١) شرح السنة للبغوي : ١/١٠ : ١١ .

(٢) رواه أحمد في مسنده : ٦/٢١ : ٢٢ ، ورأيت أنه حديث حسن على ما في حاشية شرح السنة للبغوي ١/٢٩ .

(٣) الحديث رواه مسلم باب ٣٢ ، وأحمد : ٢/٢٧٧ ، ٣٦٠ ، وللعلماء فيه كلام فقيل : تفرد به علي بن سعده، قال البخاري : فيه نظر ، والنسائي : ليس بالقوي ، وابن عدي : أحاديثه غير محفوظة . وقال آخرون: =

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن الحجج الملزمة التي لم أر غيري ذكرها إلا بإشارة في شرح النووي على مسلم[1] على أن الإيمان غير الإسلام إذ لم يطلق في عموم الملة ، وهي : أن وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من عباده الموحدين جنات النعيم وحسن المثوبة ، فقال تعالى:

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن"

(البينة : ٨،٧)

وقال تعالى :

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا"

(الكهف : ١٠٧)

وغير ذلك من الآيات التي أكد الله تعالى فيها الوعد الحق للمؤمنين بالنزل الكريم . ووعد المنافقين الدرك الأسفل من النار فقال تعالى :

"إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار" (الآية) قاله في غير آية من التنزيل .

والمعروف شرعا : أن المنافق مسلم نطق بالشهادتين وحتى لو عمل بعض فرائض الإسلام وأكثرها في الظاهر وقلبه في دغل للإسلام ، كما لو كان غير مخلص فيما يعمله من أعمال البر المتصف بعملها في الظاهر ، بحيث وصف في الحديث الشريف من هذا حاله بقوله ﷺ : "آية المنافق ثلاث ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم"[2] ، فلو أغنى إسلام من اتصف بهذه الصفات عن الإيمان الحقيقي . لما

- أحاديثه مقبولة فقال ابن معين : صالح الحديث ، وأبو حاتم : لا بأس به ، ووثقه الطيالسي ، وانظر : طبقات الشافعية : ١٢١/١ .

(١) انظر : شرح النووي على مسلم : ١٢٥/١ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه باب ٢٥ ، كتاب الإيمان : ٧٨/١ ، ٧٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استحق الدرك الأسفل من النار مع ملازمته الصيام وإطلاق لفظ المسلم عليه ، وقد أكدت الآيتان الكريمتان استحقاق المؤمن جنات عدن ، وجنات الفردوس .

وبديهي أن جنات الفردوس وجنات عدن لا تعني الدرك الأسفل من النار فإذا فهم الفرق هنا عرفنا الفرق هناك ، وأن الإسلام لا يغني عن الإيمان ، ويحصول لفظ الإسلام لا يستحق العبد الجزاء الحسن ، فلابد من الإيمان ، على أنه لا مانع من اجتماعهما بمعنى واحد أحيانا عند إطلاق عموم الملة .

قال الطحاوي : فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر ، فمثل الإسلام من الإيمان ، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية ، فهما شيئان في الأعيان إحداهما مرتبط بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد .

كذلك الإسلام والإيمان لا إيمان لمن لا إسلام له ولا إسلام لمن لا إيمان له ، إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه ، واستشهد للفرق بينهما بقوله تعالى :

"قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا" (الحجرات : ١٤)[١]

- الفريق الثاني : القائلون : الإيمان والإسلام لفظان مترادفان على معنى واحد: وهو مذهب أبي حنيفة وعموم المرجئة[٢] .

حجة الفريق الثاني :

احتج الفريق الثاني لرأيه بقوله تعالى :

---

(١) شرح الطحاوية : ٣٣٠ .

(٢) انظر : العقائد السلفية : ١٥٩ ، وانظر : مسلم بشرح النووي : ١/١٣٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين"

(الذاريات : ٣٥،٣٦)

وبقوله تعالى :

"يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين"

(الحجرات : ١٧)

في الآية الأولى سمى الله أهل بيت واحد بالاسمين معا ، والواحد لا يتبعض حتى يقال : لبعضه مسلم والآخر مؤمن ، وذلك يدل على اتحاد معنيهما .

ووجه الاستدلال بالآية الثانية : أن الحق سبحانه لم يفرق بين الاسمين في الآية فسمى المسلم مؤمنا ، ولو كان هناك فرق لظهر في الآية الكريمة(١) .

والحق في القضية يتلخص فيما يلي :

١- اسم الإيمان تارة يذكر مفردا غير مقرن باسم الإسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيره ، كقول الرسول ﷺ : **"الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"** .

٢- وتارة يذكر مقرونا بالإسلام كقوله ﷺ في حديث جبريل الذي رواه البخاري ومسلم: "ما الإسلام ؟ وما الإيمان ؟" ، وكقوله تعالى :

"إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات" (الأحزاب : ٣٥)

وقوله عز وجل :

"قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا" (الحجرات : ١٤)

٣- وتارة يذكر مع العمل الصالح ، وذلك كقوله تعالى :

---

(١) انظر في ذلك العقائد السلفية ، ص١٦٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات" (الكهف : ١٠٧)

أو مقرونا بالذين أوتوا العلم ، كقوله تعالى :

"وقال الذين أوتوا العلم والإيمان" (الروم : ٥٦)

وقوله تعالى :

"يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة : ١١)

فعلم أن المقصود هنا العموم والخصوص بالنسبة إلى ما في الباطن والظاهر من الإيمان ، فإذا ذكر اسم الإيمان مجردا دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة ، أي كان تصديق القلب وعمل الجوارح والإعلان داخلا فيه ، وإذا ذكر الإيمان مع الإسلام ، جعل الإسلام للأعمال الظاهرة ، مثل الشهادة ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج الخ ، وهكذا في الحديث الذي رواه أحمد عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : "الإسلام علانية والإيمان في القلب" .

قال الأزهري في تفسير قوله تعالى : "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" (الحجرات : ١٤) ، قال : الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ ، وبه يحقن الدم ، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك هو الإيمان الذي يقال للموصوف به مؤمن مسلم ، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه ، فهو في الظاهر مسلم ، وباطنه غير مصدق ، ويقال له غير مؤمن .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث
عن الإيمان وماهيته وأجزائه وأركانه

==========

اختلف علماء أهل السنة والجماعة في كنه الإيمان أهو قول واعتقاد وعمل ؟ أم هو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط ؟ على مذهبين :

أحدهما قال : هو اعتقاد ، وقول ، وعمل .

والثاني قال : هو التصديق والنطق .

> المذهب الأول :

القائلون : الإيمان هو اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان هم : السلف ، ومن اقتدى مذهبهم من أصحاب الحديث ، وأهل السنة من الجمهور أمثال : مالك بن أنس ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والأوزعي ، وإسحاق بن راهويه ، وسائر أهل الحديث كالبخاري ، ومسلم ، ومن قبلهما ابن المبارك ، وأهل المدينة ، وأهل الظاهر ، وجماعة من المتكلمين ، والمعتزلة ، والشيعة ، وجميع الخوارج ، ومن الأشاعرة: أبو العباس القلانسي ، ومن محققيهم الأستاذ أبو منصور البغدادي ، وأبو القاسم القشيري .

الإيمان حقيقة مركبة من القول والعمل ، والمقصود بالقول هنا قول القلب (وهو تصديق القلب ، وإقراره ، ومعرفته) ، وقول اللسان هو (النطق بالشهادتين ، والإقرار بلوازمهما) ، والمقصود بالعمل عمل القلب وهو (قبوله ، وانقياده ، ومحبته ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإخلاصه) ، وعمل الجوارح وهو (سائر ما افترض لله على عباده من أعمال الجوارح) .

قال البخاري - رحمه الله - : (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أن أحدا منهم يختلف في الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)(١) .

وقد نقل هذا المعنى اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة عن الجم الغفير من أهل العلم ، منهم الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي عبيد ، وأبي زرعة ، وغيرهم(٢) .

وقد صار هذا المعنى من المعلوم من مقالات السلف بالضرورة . أصل الإيمان تصديق الخبر والانقياد للأمر ، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر ، ولهذا لما جاء نفر من اليهود إلى النبي ﷺ وقالوا نشهد إنك لرسول الله لم يكونوا مسلمين بذلك لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم ، أي نعلم ونجزم إنك رسول الله ، قال ﷺ : "فلم لا تتبعوني ؟" قالوا : نخاف من اليهود ، فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد ، مع تضمن ذلك الإخبار عما في أنفسهم ، فالمنافقون قالوا مخبرين كاذبين ، فكانوا كفارا في الباطن ، وهؤلاء قالوها غير ملتزمين ولا منقادين ، فكانوا كفارا في الظاهر والباطن ، وكذلك أبو طالب قد استفاض عنه أنه يعلم بنبوة محمد وأنشد عنه:

ولقد علمت بأن دين محمد وكتابه ... من خير أديان البرية دينا

---

(١) فتح الباري : ١/٤٧ .

(٢) راجع السنة اللالكائي : ١/١٥١ : ١٨٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن امتنع من الإقرار بالتوحيد والنبوة حبا لدين سلفه ، وكراهة أن يعيره قومه ، فلما لم يقترن بعلمه الباطن الحب والانقياد الذي يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل وكراهة الحق لم يكن مؤمنا(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار. لا مجرد التصديق ، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق ، وعمل القلب الذي هو الانقياد ، تصديق الرسول فيما أخبر ، والانقياد له فيما أمر ، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به ، والعبادة له . . . والكفر هو عدم الإيمان ، سواء معه تكذيب ، أو استكبار ، أو إباء ، أو اعتراض ، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر)(٢) .

ويبين في موضع آخر أنه (لا فرق بين من يعتقد أن الله ربا ، وأن الله أمره بهذا الأمر ، ثم يقول إنه لا يطيعه لأن أمره ليس بصواب ولا سداد ، وبين من يعتقد أن محمدا رسول الله ، وأنه صادق واجب الاتباع في خبره وعمله ، ثم يسبه أو يسب أمرا أو شيئا من أحواله ، أو ينتقصه انتقاصا لا يجوز أن يستحقه رسول .

ذلك أن الإيمان قول وعمل ، فمن اعتقد الوحدانية لله سبحانه وتعالى ، والرسالة لعبده ورسوله ، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح ، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه ، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح(٣) .

---

(١) راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٥٦١/٧ .

(٢) المرجع السابق : ٨٣٦/٧ : ٨٣٩ .

(٣) الصارم المسلول : ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : (فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد ، وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه ، وإن سميَّ الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاعتداء ، كما أن اعتقاد التصديق ، وإن سميَّ تصديقا فليس هو التصديق المستلزم للإيمان ، فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته)(١) .

إن التولي عن الحكم بالشريعة كالتكذيب بها سواء ، كلاهما كفر أكبر، فقد تمهد أن أصل الإيمان هو الإقرار بما جاء به رسو الله ﷺ تصديقا وانقيادا ، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر، وعلى هذا فرد الحكم الشرعي كالتكذيب به كلاهما كفر أكبر ينتقص به عقد الإيمان .

والمقصود برد الحكم الشرعي ، عدم قبوله والامتناع من التزامه دينا يعبد الله به ، وحكما واجب الاتباع في موارد النزاع ، فهو يتعلق بالاعتراض على التشريع والامتناع من التزامه ابتداء ، ولهذا يفرق بينه وبين الإصرار الذي هو مجرد المداومة على المعصية وعدم التوبة منها ، فهو يتعلق بالامتناع عن تنفيذ الأحكام أما الرد فهو يتعلق بالاعتراض على تشريعه .

هذا وقد استدل أصحاب المذهب الأول بأدلة كثيرة من القرآن والسنة ، ومنها قوله تعالى :

"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما"

(النساء : ٦٥)

---

(١) الصلاة لابن القيم : ٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول الجصاص : (هذه الآية تدل على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ ، فهو خارج عن الإسلام)(١) .

وقال ابن تيمية : (الكفر هو عدم الإيمان ، سواء كان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض ، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر)(٢) .

ويقول ابن القيم : (ونحن نقول : الإيمان هو التصديق ، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق الخبر دون الانقياد له ، ولو كان يحرر التصديق إيماناً لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذي عرفوا محمدا رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين ، فالتصديق إنما يتم بأمرين : أحدهما : اعتقاد الصدق ، والثاني : محبة القلب وانقياده)(٣) .

وعلى هذا الرأي جمهور الفقهاء ، ومنهم الكمال بن الهمام ، والقسطلاني ، والبيهقي ، وابن تيمية ، وغيرهم .

> المذهب الثاني :

وهم الذين قالوا : إن الإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان معا ، فإذا عرف المرء الدين بقلبه وأقر بلسانه فهو مسلم كامل الإيمان ، وإن الأعمال لا تسمى إيمانا ، وقالوا إن الإيمان في اللغة هو التصديق بالقلب ، وهو الواجب على العبد حقا لله ، والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا ، وأنه ضد الكفر ، وهو التكذيب والجحود وهما يكونان بالقلب ، فكذا ما يضادهما .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص : ١٨١/٣ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٦٣٩/٧ .

(٣) الصلاة لابن القيم : ١٩، ٢٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم قالوا : لو كانت الأعمال توحيدًا وإيمانا ، لكان من أضاع شيئا منها قد أضاع الإيمان ، وفارق الإيمان ووجب ألا يكون مؤمنا[1] ، واستدلوا بقوله تعالى :

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا"

(الكهف : ١٠٧)[2]

في هذه الآية الكريمة وغيرها من آيات القرآن ، نجد أن الأعمال تعطف على الإيمان ، والعطف يقتضي المغايرة ، كما احتجوا بقول الرسول ﷺ : "اعتقها فإنها مؤمنة"[3] .

وبعد : فنصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة تتفقان تماما في تصوير حقيقة الإيمان ، فالإيمان الشرعي : هو التصديق الجازم بوجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته وسائر صفاته وكمالاته التي لا تتناهى ، وبأن محمدا رسوله الله ﷺ ، وأن جميع ما جاء به من أوامر ونواه تشمل الحقيقة والتشريع صدق وحق لا ريب فيه ولا شك ، وأن يصحب ذلك التصديق نطق باللسان في وضوح وجلاء وإصرار ، مع العمل بكل ما جاء به سيدنا محمد ﷺ ، وهذا هو مذهب السلف حتى شاع عنهم : أن الإيمان عقد وقول وعمل ، ويرجع إلى هذا الرأي كل قول لصالحي خلف الأمة ﷺ جميعا .

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (قد تبين أنه لا يُكتَفَى بتصديق القلب واللسان ، فضلا عن تصديق القلب وحده ، بل لابد من العمل بموجب ذلك التصديق ، كما في قوله الله تعالى :

---

(١) انظر الفصل في الملل والنحل : ٣/١٩١ ، وتاريخ بغداد في ترجمة أبي حنيفة : ١٣/٣٨٨ .

(٢) انظر في ذلك العقائد النسفية : ١٥٦ ، ومقالات الإسلاميين : ١/٢٩١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/١٧٠ : ١٧٤ ، ومسند أحمد : ٢/٢٩١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون"

(الحجرات : ١٥)

وقوله جل شأنه :

"إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون"

(الأنفال : ٢)

وقوله تعالى :

"لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله"

(المجادلة : ٢٢)

ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة ، كقوله ﷺ : "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" .

وقوله عليه الصلاة والسلام : "لا يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه" وأمثال ذلك .

والسلف يقولون : (الرسول وقفنا على معاني الإيمان وبينه لنا ، وعلمنا مراده بالاضطراد علما ضروريا : أن من قيل إنه صدّق ، ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك ، ولا صلى ولا صام ولا أحب الله ورسوله ولا خاف الله ، بل كان مبغضا للرسول معاديا له يقاتله ، إن هذا ليس بمؤمن ، كما علمنا أن الكفار من المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون أنه رسول الله ، وفعلوا ذلك معه ، كانوا عنده كفارا لا مؤمنين ، فهذا معلوم عندنا بالاضطراد)[١] .

---

(١) أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني : في كتابه الإيمان : ٧٨،٧٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالرأي ما رأى السلف - رضوان الله عليهم - من أن الإيمان المنجي من عذاب الله يوم القيامة هو: (تصديق، وقول، وعمل) إذ هم - أي السلف - قد غمرهم نور الرسالة، وسعدوا بالقرب من رسول الله ﷺ، "فخير القرون قرني".

كما أن السابقين الأولين كانوا أهل علم باللغة سليقة، فهم سادتها وأئمة البيان فيها، وكان يخفى عليهم شيء من مدلولاتها ألفاظا ومعاني.

- رأي الجمهور في المسألة:

كل ما قال به نفاة العمل لا يثبت عند المناقشة ولا يقيمه حجة معتبرة عند أهل العلم على ما قالوه، وإذا سقط كل ما توهمت به هذه الطائفة بالردود الكثيرة التي أظهرها جمهور العلماء، لأن القرآن والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا اكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى:

"إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون"

(الحجرات: ١٥)

وقوله تعالى:

"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"

(النساء: ٦٥)

فنفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية: دل على أن هذه الغاية فرض على الناس، فمن تركها كان من أهل الوعيد، ولم يكن قد أتي بالإيمان الواجب، الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب، وفي هذا يقول الإمام ابن حزم في الفصل، فإذا سقطت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حجتهم فيما توهموه ، فلنقل بعون الله عز وجل وتأييده في بسط حجة القول الصحيح الذي هو قول جمهور أهل الإسلام بأن الإيمان عقد وقول وعمل (١) .

وهذا هو القول المعول عليه ، لأن الإيمان بلا عمل كالشجرة بلا ثمر ، وإذا كان القول بلا عمل جريمة ، قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"

(الصف : ٢،٣)

فالإيمان بلا عمل كارثة تستحق اللعن من الله والملائكة والناس أجمعين ، قال تعالى :

"إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"

(البقرة : ١٥٩)

وقوله تعالى :

"إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم"

(البقرة : ١٧٤)

ولا أظن أن الأمم التي تقعد عما كلفها الله به ولا تؤدي فرائضه أو تحمل منهجه جديرة بالانتساب إلى الإيمان والارتقاء إلى درجته .

---

(١) الفصل في الملل والنحل : ١٩١/٣ ، والعقيدة الطحاوية : ٤٠٨، ٤٠٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- حكم الإيمان :

والإيمان من أعظم الواجبات ، ولا يعتبر التصديق إلا مع التلفظ بالشهادتين ، وقد اختلف في جواز التقليد في الإيمان على قولين ، والإيمان شرط في قبول العبادات لقوله تعالى :

"والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا"

(النور : ٣٩) ، ونحوها من الآيات(١)

هذا وذكر الإيمان في القرآن الكريم (٨١٤) مرة ، متناولا لمواطن كثيرة وأحوال عدة للمؤمنين وغيرهم ، نذكر منها ما يلي :

زيادة الإيمان ونقصه :

أهل السنة والحديث وجمهور العلماء على أن الإيمان يزيد وينقص ، والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله تعالى :

"إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا"

(الأنفال : ٢)

قال العلماء : هذه الزيادة وقت تلاوة الآيات وليس هو تصديقهم بها عند النزول ، وهذا أمر يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات زاد في قلبه فهم القرآن ومعرفة معانيه ، ومن ذلك قوله تعالى :

"الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" (آل عمران : ١٧٣)

---

(١) انظر في ذلك : شرح جمع الجوامع : ٢/٢١٧ ، ٤٠٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو ولم تكن عندهم من قبل ، فزادتهم توكلا على الله وثباتا في الجهاد ، وقال تعالى :

"وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم"

(التوبة : ١٢٤،١٢٥)

والسكينة والطمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه ولهذا قال تعالى يوم حنين :

"ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها"

(التوبة : ٢٦)

وقال تعالى :

"ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها"

(التوبة : ٤٠)

ولم يكن قد نزل يوم حنين قرآن ولا يوم الغار ، وإنما أنزل سكينته وطمأنينته من خوف العدو .

وقد جاءت السنة مؤيدة لزيادة الإيمان ونقصه ، ففي حديث حذيفة الصحيح قال : "حتى يقال للرجل : ما أجلده ، ما أظرفه ، ما أعقله ، وما في قلبه حبة من خردل من إيمان" ، وفي حديثه الآخر الصحيح : "تعرض الفتن على القلب كالحصير عودا عودا ، فأي قلبه أشربها نكتت فيه نكتة سوداء . . . وأي قلب أنكرها نكتت فيه بيضاء ، حتى يصير على قلبين : أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السماوات والأرض ، والآخر أسود : مربادا ، كالكوز مجخيا ، لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه" ، وفي حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب كفاية ، فإنه من أعظم الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه(١) .

هذا وللعلماء آراء في زيادة الإيمان ونقصه ، فقالوا : إنه يكون في عبادة المؤمنين ويعرف من وجوه :

الأول : الإجمال والتفصيل ، حيث وجب على كل أمة التزام ما يأمر به رسولهم مجملا ، فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله ، ولا يجب على كل عبد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ، ما يجب على من بلغه غيره، ولو آمن الرجل بالله باطنا وظاهرا ، ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا ، وليس إيمان هذا مثل إيمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل ، بل إيمان هذا أكمل وجوبا ووقوعا .

الثاني : العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض ، وأثبت وأبعد عن الشك والريب ، وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه .

الثالث : التصديق المستلزم لعمل القلب ، أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله ، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به ، وإذا كان شخصان يعلمان أن الله حق ورسوله حق ، والجنة حق والنار حق ، وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهروب من النار ، والآخر علمه لم يوجب ذلك فعلم الأول أكمل .

---

(١) انظر في ذلك : شرح الطحاوية : ٣٨٤ ، وترتيب المدارس للقاضي عياض : ١/١٧٤ ، والبيهقي في مناقب الشافعي : ١/٣٨٥ ، وكتاب السنة للإمام أحمد : ٤٤ ، وكتاب أهل السنة : ٨١ ، ومقدمة طبقات الشافعية طبقات الشافعية لابن السبكي : ١/١٣١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرابع : أعمال القلوب ، مثل محبة الله وخشية الله ورجائه .

الخامس : الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضا من الإيمان والناس يتفاضلون فيها .

السادس : ذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون غافلا عنه ، أكمل ممن صدق به وغفل عنه .

السابع : إن الإنسان قد يكون مكذبا ومنكرا لأمور لا يعلم أن الرسول أخبر بها وأمر بها ، ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر ، بل قلبه جازم بأنه لا يخبر إلا بصدق ، ولا يأمر إلا بحق ، ثم يسمع ما لم يعلم فيصدق ، فهذا تصديق جديد وإيمان جديد[1] .

هذا وصحابة رسول الله ﷺ على ذلك ، عن عمير بن حبيب الخطمي ، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ قال : (الإيمان يزيد وينقص : قيل له : وما زيادته وما نقصه؟ قال : إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسيناه فتلك نقصانه) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل عن بعض أشياخه أن أبا الدرداء قال : (إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد الإيمان أم ينقص ، وإن من فقه الرجل أن يعلم نزعات الشيطان أنى تأتيه) ، والآثار في هذا كثيرة ومتنوعة ، فعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يقول لأصحابه : (هلموا نزداد إيمانا ، فيذكرون الله عزوجل) ، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه كان يقول في دعائه: (اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفقها) .

---

(١) انظر : في ذلك مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٧/٢٢٢ : ٢٣٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أركان الإيمان :

تكلم العلماء عن أركان الإيمان التي لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان ، ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام والتي وضحها وبينها حديث رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال : "أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١) ، وقد حددها الحديث بستة أمور ، وهي كما يلي:

أولاً : الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، مع المعرفة بدلالة وجوده ومظاهر عظمته في الكون والحياة ، قال تعالى :

"قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد"

(سورة الإخلاص)

"الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم"

(البقرة : ٢٥٥)

"قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيامّا تدعوا فله الأسماء الحسنى"

(الإسراء : ١١٠)

"ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها"

(الأعراف : ١٨٠)

"هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون"

(الحشر : ٢٣)

ثانياً : الإيمان بالملائكة وبعالم الغيب "ما وراء الطبيعة" أو بالعالم غير المنظور الذي دل عليه القرآن الكريم ، وقرره المعصوم ﷺ ، وما فيه من قوى الخير التي تمثل

---

(١) رواه مسلم ، والترمذي ، أبو داود .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملائكة ، وقوى الشر التي تمثل إبليس وجنوده من الشياطين ، والمعرفة بما في العالم أيضا من جن وأرواح ، قال تعالى :

"آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله"

(البقرة : ٢٨٥)

والآيات التي تبين طبيعة الملائكة وعملهم ، وطاعتهم لأمر الله كثيرة في القرآن، ومبعوثة في سوره وآياته ، (انظر : ملائكة) ، وكذلك آيات الجن في القرآن كثيرة تبين خلقهم وطبيعتهم وتكليفهم ، وبيان المؤمنين منهم والكافرين ، ومنها قوله تعالى :

"والجان خلقناه من قبل من نار السموم"

(الحجر : ٢٧)

"وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا"

(الجن : ١٤)

"يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا"

(الأنعام : ١٣٠) (وانظر : جن)

والحديث عن الروح والنفس في القرآن الكريم والسنة مستفيض منها :

"يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"

(الإسراء : ٨٥)

"وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين"

(الحجر : ٢٨، ٢٩)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة"

(القيامة : ٢،١) (انظر : روح - ونفس)

ثالثًا : الإيمان بالكتب التي أنزلها الله :لتحديد معالم الحق والباطل ، إجمالا وتفصيلا مما ورد ذكره في القرآن والسنة الصحيحة ، كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم وموسى ، قال تعالى :

"آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله"

(البقرة : ٢٨٥)

"إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور"

(المائدة : ٤٤)

"وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل"

(المائدة : ٤٦)

"أم لم ينبأ بما في صحف موسى ، وإبراهيم الذي وفى"

(النجم : ٣٧،٣٦) (انظر : كتب ، وتوراة ، وإنجيل ، وصحف)

رابعاً : الإيمان بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لتبليغ وحيه ورسالاته للإنس والجن ، قال تعالى :

"آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا"

(البقرة : ٢٨٥)

"ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين"

(البقرة : ١٧٧) (انظر : رسل ، وأنبياء)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامساً : الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء ، وثواب وعقاب ، وجنة ونار ، قال تعالى :

"أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون"

(المؤمنون : ١١٥)

"ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين"

(البقرة : ١٧٧)

"يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن" (التغابن : ٩)

والآيات في ذلك مستفيضة في القرآن الكريم توضح أحوال هذا اليوم وما فيه من حساب وجزاء على الأعمال ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، (انظر : اليوم الآخر ، وبعث ، وجزاء ، وحساب) .

سادساً : الإيمان بالقدر : وقد ذكر القدر في القرآن الكريم مرارا من ذلك قوله تعالى :

"وكل شيء عنده بمقدار" (الرعد : ٨)

"وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم" (الحجر : ٢١)

"إنا كل شيء خلقناه بقدر" (القمر : ٤٩)

والإيمان بالقدر يري الإنسان أن كل شيء في الوجود إنما يسير وفق حكمة الله وتقديره ، وليس خبط عشواء ، قال تعالى :

"ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم"

(الحديد : ٢٢،٢٣) (انظر : قدر)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع
من أحكام الإيمان

==========

◄ الإكراه على الإيمان :

الإكراه ـ هو القهر ـ يُقال : أكرهته على الإيمان حملته عليه قهرا وهو ضد الرضى والاختيار ، هذا وللإكراه شروط : ينظر إليها في إكراه ، وقد أمر القرآن بعدم الإكراه في الدين فقال تعالى :

"لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"

(البقرة : ٢٥٦)

"أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"

(يونس : ٩٩)

قال ابن كثير : أمر الله أن لا يكره أحد على الدخول في الإسلام ، فإنه بيِّن واضح جلي دلائله وبراهينه ، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام دخل فيه على بينة ، ومن ختم على قلبه فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا ، وقال في الكشاف : لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر ، ولكن على التمكين والاختيار ، ونحوه قوله تعالى :

"ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (يونس : ٩٩)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقيل : نزلت آية "لا إكراه في الدين" في رجل من الأنصار أراد إكراه بنيه على الإسلام ، فأتى رسول الله ﷺ مشتكيا أمرهما فنزلت ، وأخرج البخاري عن أسلم قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية : "اسلمي تسلمي" ، فأبت ، فقال: اللهم اشهد ، ثم تلا : "لا إكراه في الدين" .

وحكم الإكراه كما قرر العلماء : من أُكرِه على الكفر لا يعتبر مرتدا ، ومتى زال عنه الإكراه أُمِر بإظهار إسلامه ، والأفضل له أن يصبر ، وإذا أُكرِه على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن ، فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام ، حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعا ، أما من يجوز إكراهه على الإسلام كالمرتد فإنه إذا أكره فأسلم حُكِم بإسلامه ظاهرا(١) .

➢ تعليق الإيمان بالمشيئة :

وردت آيات في القرآن الكريم تربط الإيمان بمشيئة الله تعالى ، وآيات أخرى تربطه بمشيئة العبد .

فمن الآيات التي تربط الإيمان بمشيئة الله ، قوله تعالى :

"ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا" (يونس : ٩٩)

"ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين" (الأنعام : ٣٥)

"ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا" (الأنعام : ١٠٧)

---

(١) انظر في ذلك : تفسير بن كثير : ٣١٨/١ ط دار المعرفة ، وفتح القدير : ٢٧٦/١ ط دار المعرفة ، والدر المنثور : ٣٢٩/١ ط دار المعرفة ، والقرطبي : ٢٧٩/٣ ، وزاد المسير : ٣٠٤/١ ط المكتب الإسلامي ، والمغني لابن قدامه : ١٤٤/٨، ١٤٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن الآيات التي تربط الإيمان بمشيئة العبد ، قوله تعالى :

"وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (الكهف : ٢٩)

"فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا" (المزمل : ١٩ ، الإنسان : ٢٩)

وخلاصة ما قرره أهل السنة والجماعة في ذلك أن الله تعالى لو شاء أن يوفق العاصي للإيمان كما وفق الطائع لكان ذلك ، ولكنه لم يشأ ذلك سبحانه لسوء اختيارهم وأعمالهم حسبما علمه الله تعالى منهم في أزل الأزلين والله لا يهدي القوم الفاسقين والظالمين لسوء أعمالهم .

وقالت المعتزلة : المراد لو شاء الله سبحانه جمعهم على الهدى لفعل بأن يأتيهم بأية ملجئة إليه ، فالإيمان الاختياري يكون عندهم بيد العبد ، وأما الإيمان الإجباري الملجئ القسري فول أراده الله لكان ولكن الله لا يريده سبحانه .

وأهل السنة مع ما تقدم في رأيهم يضيفون فعل العبد إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا ، وإلى العبد من حيث كونه مقرونا بقدرته واختياره ، ولا تنافي بين الإضافتين ، فبراهين السنة تتبعه أينما سلك ، وقد أشار العلماء إلى رأي أهل السنة بأنه هو الأوفق والله أعلم(١) .

من آثار الإيمان :

الإيمان والولاء :

المؤمن مأمور بموالاة المؤمنين لقوله تبارك وتعالى :

"والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض" (السورة)

---

(١) انظر في ذلك : روح المعاني : ١٣٩/١١ ، ٢٦٦/١٥ ط دار إحياء التراث ، بيروت ، والكشاف : ٣٨٨/٢، مع كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد الإسكندري : ٣٨٨/٢،ط دار المعرفة ، وابن كثير في شرح الآيات السابقة ، وكذلك القرطبي في تلك الآيات .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما نهى الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا أصنافا معينة ، أو أن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ، فقال تعالى :

"لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة"

(آل عمران : ٢٨)

كما قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة"

(الممتحنة : ١)

إلى أن قال تعالى :

"ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل"

(الممتحنة : ١)

كما أخبر سبحانه أن المشركين يوالي بعضهم بعضا دون المؤمنين فقال سبحانه وتعالى :

"الذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"

(الأنفال : ٧٣)

"إلا أن تتقوا منهم تقاة" أي من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته ، كما قال ابن عباس : "ليس التقية بالعمل ، إنما التقية باللسان" (انظر : تقية) .

➢ الأصناف التي حذر القرآن من موالاتهم :

١- الكافرون : قال تعالى :

"لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين" (آل عمران : ٢٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قيل : نزلت في عُبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود ، فقال يوم الأحزاب : يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود ، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو ، فنزلت الآية ، وقيل الآية عامة ، قال الزجاج : لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن ، أي ويدع المؤمن ، قال تعالى :

"الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة"

(النساء : ١٣٩)

٢- اليهود والنصارى : قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض"

(المائدة : ٥١)

قيل : زجر الله عن موالاتهن ، أي لا يتخذ أحد منكم أحدا منهم ، وليا بمعنى : لا تصافوهم مصافاة الأحباب ، ولا تستنصرهم ، أخرج ابن جرير وابن أبي شيبة عن عطية بن سعد ، قال : جاء عُبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن لي موالي من يهود كثير عددهم ، وإني أبرأ إلى الله تعالى ورسوله ﷺ من ولاية اليهود ، وأتولى الله ورسوله ، فقال عبد الله بن أبي : إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي ، فنزلت الآية ، وأما قوله تعالى : "بعضهم أولياء بعض" يعني بعض اليهود أولياء لبعض منهم ، وبعض النصارى أولياء لبعض منهم ، وزيادة في التنفير من موالاتهم وصف الله من والاهم بأنه يصير في حكمهم ، قيل : هذا يخرج مخرج التشديد ، والمبالغة في الزجر ، وقيل : المراد يكون كافرا مثلهم حقيقة(١) .

---

(١) انظر : روح المعاني في تفسير الآية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- الذين يتخذون الإسلام هزوا ولعبا : قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا" (المائدة : ٥٧)

سبب نزولها : أن رفاعة بن زيد بن الثابوت ، وسويد بن الحارث ، كانا قد أظهرا الإسلام ، ثم نافقا ، وكان رجال المسلمين يودونهما ، فنزلت هذه الآية ، وقيل هي عامة في كل من استهزأ بشيء من الإسلام تعميما للحكم وتنبيها على العلة ، وجاءت الآية بعد ذلك تذكر طرفا من استهزائهم :

"وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون"

(المائدة : ٥٨)

ومن كان هذا شأنه جديرا بالمعادة ، فكيف بالموالاة ؟

٤- الآباء والإخوان الكافرون : قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون" (التوبة : ٢٣)

نهي لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين ، لا عن موالاة طائفة منهم ، فإن ذلك مفهم من النظم الكريم دلالة لا عبارة ، وروي عن ابن عباس أنها نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا : إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا ، وذهبت تجارتنا ، وهلكت أموالنا ، وخربت ديارنا ، وبقينا ضائعين ، فنزلت الآية ، وقيل نزلت في غير ذلك ، وهي عامة في عدم موالاة من استحب الكفر على الإيمان من الأهل وغيرهم .

٥- الأعداء من أي قبيل : قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة"

(الممتحنة : ١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذكر أهل التفسير أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة لما كتب كتابا إلى المشركين في مكة يخبرهم بأمر رسول الله وعزمه على فتحها ، فقال له ﷺ : "ما حملك على هذا ؟" فقال : يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غششتك منذ نصحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته ، وكنت غريبا فيهم ، وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي ، فأردت أن أتخذ عندهم يدا ، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه ، وكتابي لا يغني عنهم شيئا ، فصدقه رسول الله ، ونزلت الآيات تنهي حاطبا والمؤمنين عن موالاة الأعداء ، وتذكر أسباب ذلك .

٦- المنافقون ومن على شاكلتهم : قال تعالى :

"فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا"

(النساء : ٨٨)

إلى قوله تعالى :

"فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله"

(النساء : ٨٩)

المراد نهي كل من المخاطبين عن اتخاذ كل من المنافقين أولياء ، حتى يصح إيمانهم فيتحقق إيمانهم بالهجرة لله تعالى ورسوله ، لا لغرض من أغراض الدنيا ، وإلا فجانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة أبدا(١) .

٧- الظالمون : قال تعالى :

"وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين" (الجاثية : ١٩)

---

(١) انظر : روح المعاني في تفسير الآية ، وانظر : نفاق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أي إن الظالمين بعضهم يوالي بعض ، والله ولي المتقين ، نهى عن موالاة الظالمين ومعاونتهم على الظلم والبغي ، أو الركون إليهم .

➢ إيمان النفاق :

أحوال المنافقين مع الإيمان :

أ- إظهارهم للإيمان قولا ، لا اعتقادا وعملا : قال تعالى :

"ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين"

(البقرة : ٨)

وقال تعالى :

"وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم"

(البقرة : ١٤)

وفي هذه دلالة على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل ، قال ﷺ : "الإيمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان"(١) ، وفي هذا رد على الكرامية الذين قالوا الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بالقلب .

ب- استعمالهم للإيمان خداع ومكر بالمؤمنين : قال تعالى :

"ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون"

(البقرة : ٨،٩)

قال العلماء : من يخدع الله فإنه يخدع نفسه ، لأن الخداع يكون مع من لا يعرف البواطن ، قال عليه الصلاة والسلام : "لا تخدع الله فإنه من يخادع الله يخدعه

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه ، والقرطبي في تفسيره : ١٩٣/١ ، دار الكتب .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الله ، ونفسه يخدع لو يشعر" قالوا : يا رسول الله ، وكيف يخادع الله ؟ قال ﷺ : "تعمل بما أمرك الله به ، وتطلب به غيره"(١) .

ت- استعمال الإيمان لتشكيك المؤمنين : قال تعالى :

"وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم"

(آل عمران : ٧٢،٧٣)

يروي العلماء في سبب نزول هذه الآية : (أن طائفة من اليهود قالوا : إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا ، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب ، وهم أعلم منا ، فينقلبون عن دينهم)(٢) .

ث- إيمان مع تربص وكراهية : قال تعالى :

"ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ"

(آل عمران : ١١٩)

وقد أظهر الله ذلك في أحوالهم وعلى ألسنتهم .

"قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون"

(آل عمران : ١١٨)

قال العلماء : هذا مثلٌ ضربه الله لما في قلوبهم ، وإن لم يكن هناك عض على الأنامل ، وإنما كان غيظهم من رؤية شمل المسلمين ملتئما .

---

(١) القرطبي : ١٩٦/١ .

(٢) زاد المسير : ٤٠٥/١ ، ط المكتب الإسلامي .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ج- بذلهم في سبيل الله غصبا ومغرما وتربصا : قال تعالى :

"ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم"

(التوبة : ٩٨)

قال العلماء : (يتربصون بالمؤمنين وينفقون غرما وخسارة ، يجمعون إلى الجهل بالإنفاق سوء الدخلة وخبث القلب) .

ح- تفلت من التكاليف : قال تعالى :

"وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استئذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين"

(التوبة : ٨٦)

قيل : هذه في فضح حال المنافقين حال موت عبد الله بن أبي بن سلول ، لما أراد الرسول ﷺ الصلاة عليه فنزلت الآيات ، فانصرف الرسول ﷺ ولم يصل عليه ، وفي رواية للبخاري أن الرسول ﷺ صلى عليه ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيات من براءة(١) .

➢ أحوال أهل الكتاب مع الإيمان :

لأهل الكتاب أحوال مع الإيمان ذكرها القرآن الكريم وفصّلها ، منها :

١- أخذ الميثاق عليهم : لأن بعث رسول الله وهم أحياء ليؤمنن به ، قال تعالى :

"وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين" (آل عمران : ٨١)

---

(١) ونحوه قد أخرجه مسلم ، والقرطبي : ٨/٢١٨، ٢٢٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- دعوتهم إلى الإيمان زمن رسول الله ونهيهم عن الباطل في الاعتقاد : قال تعالى :

"يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها"

(النساء : ٤٧)

"يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم"

(النساء : ١٧١)

٣- إيمان بعض من أهل الكتاب : قال تعالى :

"الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته"

(البقرة : ١٢١)

"فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا"

(النساء : ٥٥)

"وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين"

(المائدة : ٨٣)

٤- اللعب بالإيمان : كإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض ، أو نبذهم كتاب الله خلف ظهورهم :

"أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون"

(البقرة : ٨٥)

"نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون"

(البقرة : ١٠١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- كره المؤمنين وحسدهم وتمنى كفرهم : وتفضيلهم الكافرين على المؤمنين ، وفي ذلك قوله تعالى :

"ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم" (البقرة : ١٠٥)

"ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق"

(البقرة : ١٠٩)

"ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا"

(النساء : ٥١)

٦- تكفير أهل الكتاب بعضهم لبعض : قال تعالى :

"وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون"

(البقرة : ١١٣)

٧- الصد عن سبيل الإيمان وإلباس الحق بالباطل : قال تعالى :

"قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون"

(آل عمران : ٩٩) ، (الأعراف : ٨٦)

"يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون"

(آل عمران : ٧١)

٨- انتقام أهل الكتاب من المؤمنين . ونقمتهم عليهم ، قال تعالى :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون"

(المائدة : ٥٩)

٩- عدم اتخاذهم بطانة ، والنهي عن طاعتهم ، قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون"

(آل عمران : ١١٨)

"يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين"

(آل عمران : ١٠٠)

١٠- إيمان أهل الكتاب قبل الموت ، قال تعالى :

"وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته" (النساء)

قال العلماء : ليس أحد من أهل الكتاب اليهود والنصارى ، إلا ويؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته إذا عاين الإيمان ، وقيل "ليؤمنن به" أي بمحمد ﷺ ، لأن هذه الأقاصيص أنزلت عليه ، والمقصود الإيمان به ، والمقصود الإيمان بالله ، ويستخلص من ذلك كله ، أن أهل الكتاب سيؤمنون بالدين الحق قبل موتهم ، ولكنه إيمان لا ينفع لأنه إيمان عند اليأس والتلبس بحال الموت ، (انظر القرطبي في الآية) .

➢ إيمان لا ينفع صاحبه :

أ- الإيمان عند نزول العذاب ، قال تعالى :

"يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا"

(الأنعام : ١٥٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين"

(يونس: ٩٠)

"فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا"

(غافر: ٨٤،٨٥)

ب- عند الغرغرة:

أخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ، أنه قال. "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"، قال تعالى: "وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن" (النساء)، فمن تاب في مثل هذه الحال لا تقبل توبته، وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة أو مقعده من النار، كما أنه لا تقبل توبة العبد ولا إيمانه عند نزول العذاب.

ت- عند رؤية الآيات:

وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من آمن عليها، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا"(١).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طُبع على كل قلب بما فيه، وكفى الناس العمل".

---

(١) المسند: ٣/١٣٣، والطبري: ١٢/٣٥٢، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/٢٥٠، ورجاله ثقات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

احتقار أهل الإيمان :

يأتي احتقار أهل الإيمان من أعداء الإيمان لما في قلوبهم من دخل وغل على المؤمنين ، قال تعالى :

"وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون"

(البقرة : ١٣)

يعنون أصحاب محمد ﷺ ، فرد الله سبحانه عن المؤمنين ، وأخبر سبحانه أن السفه ورقة الحلوم ، وفساد البصائر هي من صفات أعداء الإيمان الذين يتهمون المسلمين بها ، وتوالت الآيات التي تبين أقوال هؤلاء الكافرين في وصف أهل الإيمان واحتقارهم من مثل : "قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون" (الشعراء : ١١١) ، وقوله تعالى : "وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي" (هود : ٢٧) ، يقصدون فقراء الناس وضعفاءهم ، وهذا لا يعيبهم بل يرفعهم ، وهم أتباع الرسل ، قال علماؤنا : إنما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الأشراف ، وصعوبة الانفكاك عنها ، والأنفة من الانقياد ، وهذا غالب أحوال الدنيا .

الإيمان والمحن :

اقتضت حكمة الله أن يضرب الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، ويكون ذلك للمؤمنين اختباراً :

"أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون" (العنكبوت : ٢)

"ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب"

(آل عمران : ١٧٩)

فتكون المحن للمؤمنين رفعة وتمحيص ، قال تعالى :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا"

(السجدة : ٢٤)

كما تكون للمشركين وأعداء الإيمان بهتان ، وعذاب ، وتوهين ، قال تعالى :

"إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق"

(البروج : ١٠)

"وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود" (البروج : ٧) ، (الأحزاب : ٢٢)

وقد ذكر القرآن أعداء الإيمان واضطهادهم للمؤمنين في كثير من آيات القرآن الكريم :

"قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين"

(الأعراف : ٨٨)

"قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين"

(الأعراف : ١٢٣، ١٢٤) ، وكذلك طه ٧١ ، الشعراء ٤٩ ، تبين فعل فرعون بالمؤمنين واضطهاده لهم .

كما أخبر القرآن عن ثبات المؤمنين في المحن وتحملهم للإعنات والعذاب الأليم عن صبر واحتساب ، فكان ذلك رفعة وتمحيصا ، فأخبر عن صاحب ياسين :

"وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى" واسمه حبيب النجار ، وقد آمن بالرسل لما وردوا القرية "قال يا قوم اتبعوا المرسلين" فأخذوه فأعلن إيمانه قائلا : "إني آمنت بربكم فاسمعون" قال ابن مسعود : لما خاطب قومه بتلك الآيات المذكورة في سورة يس من (٢٠ ـ ٢٥) ، وطئوه بأرجلهم ، وقال السدي : رموه بالحجارة وهو يقول : اللهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اهد قومي ، فأمر الله بإدخاله الجنة "قيل ادخل الجنة" فلما دخلها قال : "قال يا ليت قومي يعلمون" فجعل الله لهم العذاب ، فقال : "إن كانت إلا صحية واحدة فإذا هم خامدون" (يس : ٢٦: ٢٩) (انظر زاد المسير في الآيات) .

وقد ظهر قوة إيمان سحرة فرعون أمامه حيث قالوا :

"وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين" (الأعراف : ١٢٦)

وظهرت قوة الإيمان عند صحابة رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب حيث قالوا:

"ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما"

(الأحزاب : ٢٢)

وفي ذلك الوعد قولان :

أحدهما : قال ابن عباس إن قوله تعالى : "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله" (البقرة) فلما عاينوا البلاء يومئذ قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، قال به قتادة وآخرون .

الثاني : ذكره الماوردي وغيره : أن رسول الله ﷺ وعدهم النصر والظهور على مدائن كسرى وقصور الحيرة ، فلما رأوه ما زادهم إلا إيمانا بوعد الله ، وتسليما لأمره ، فأخبر القرآن صدقهم بقوله تعالى :

"من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا"

(الأحزاب : ٢٣)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

➢ الإيمان والعمل الصالح :

والعمل ركن من أركان الإيمان كما يرى ذلك سلفنا الصالح ، عمل القلب ، وعمل الجوارح ، أما عمل القلب فهو مثل : حب الله ورسوله ، وخشية الله ، وحب من يحبه الله ورسوله ، وبُغض ما يبغضه الله ورسوله ، وغيره من أعمال القلب ، ويستدل على ذلك بالعمل الظاهر ، لأن صلاح الباطن يستدل عليه بالعمل الظاهر ، ولأن العمل الظاهر تابع للباطن لازم له ، ودالٌ عليه ، فمتى صلح الباطن صلح الظاهر ، وإذا فسد فسد ، ولهذا قال أحد الصحابة عن المصلي العابث : (لو خشع هذا لخشعت جوارحه)، فالأعمال تحكم على الباطن كما يحكم بالإقرار والشهود ، وإن كان في الباطن بخلاف ما أقر به وشهد ، ولأن كفر إبليس كان بامتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كذب خبرا(١) ، وقد قرن الإيمان بالعمل الصالح في الكثير من آيات القرآن الكريم حوالي (ثمانين) مرة ، ووصف الحق أصحابه بالصفات الكريمة ، ورتب على ذلك من الثواب الجزيل الشيء الكثير ، من ذلك :

أ- وعدهم بالأجر والأمن وعدم الخوف في قوله تعالى :

"من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

(البقرة : ٦٢) ، (المائدة : ٦٩،٩٣) (الأنعام : ٤٨)

ب- الجزاء الحسن والوعد بالجنة والأجر غير المنون في قوله تعالى :

"إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا"

(مريم : ٦٠)

---

(١) انظر : الفتاوى لابن تيمية : ١٨٥/٧ إلى ١٨٩ ط مؤسسة قرطبة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى"

(الكهف : ٣٠،٨٨،١٠٧) ، (سبأ : ٣٧) ، (الحج : ١٤،٢٣،٥٦) ، (الروم : ١٥) ، (لقمان : ٨)

وغير ذلك من الآيات الكثير.

ت- مغفرة الذنوب ، وذلك في قوله تعالى :

"وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى"

(طه : ٨٢) ، (محمد : ٢) ، (التغابن : ٩)

ث- خير البرية ، قال تعالى :

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية"

(البينة : ٧)

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قلتُ يا رسول الله : من أكرم الخلق على الله تعالى ؟ قال "يا عائشة أما تقرأين :

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية"

(البينة : ٧)

والإيمان شرط في قبول العمل الصالح ، لقوله تعالى :

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

(النحل : ٩٧)

وقوله تعالى :

"والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا"

(النور : ٣٩)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما الفسوق والمعاصي فإن المؤمن لا يخرج بها من الإيمان على رأي أهل السنة، وعند الخوارج يخرج، وعند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين[1].

> الإيمان والجهاد:

جعل القرآن الجهاد من علامات الإيمان فقال تعالى:

"الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت" (النساء: ٧٦)

وذلك لإعلاء كلمة الله، وإظهار دينه، واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، فقال تعالى:

"وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها"

(النساء: ٧٥)

ثم حث القرآن المؤمنين على اتباع مواقف معينة منها:

١- التبين: قال تعالى:

"يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا" (النساء: ٩٤)

٢- أخذ الحذر: قال تعالى:

"يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا"

(النساء: ٧١)

٣- عدم التثاقل: قال تعالى:

"يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض" (التوبة)

---

(١) انظر: جمع الجوامع وحاشية البناني: ٢/٤١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- الصبر والمصابرة :قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"

(آل عمران : ٢٠٠)

٥- الثبات وعدم الفرار عند الزحف : قال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"

(الأنفال : ٤٥)

وقال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار"

(الأنفال : ١٥)

٦- الاستعداد وأخذ العدة : قال تعالى :

"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"

(الأنفال : ٦٠)

٧- انتظار النصر والتثبيت من الله سبحانه : قال تعالى :

"إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا"

(الأنفال : ١٢)

وقال تعالى :

"يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها"

(الأحزاب : ٩)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإيمان وعمارة المساجد :

أخبر القرآن أن عمارة المساجد دليل على صحة الإيمان لقوله تعالى :

"إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين"

(التوبة : ١٨)

قيل هذا دليل على الشهادة لعمار المساجد بالإيمان الصحيح ، وقد قال بعض السلف : (إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فأحسنوا به الظن) ، وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : "إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان".(١)

(١) انظر : مساجد ، وانظر : القرضي : ٨/٩٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

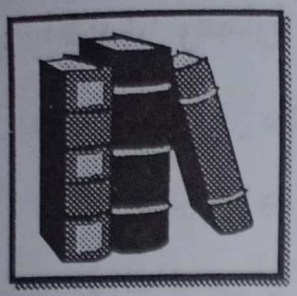

الفصل الخامس

مبطلات الإيمان والإسلام حقيقة الشرك بالله تعالى وطريق الخلاص

=============================

▫ حقيقة الشرك بالله تعالى وصوره :

إن حقيقة الإيمان بالله تعالى - كما قدمنا - يتلخص في امتلاء القلب بمحبته وتعظيمه سبحانه وتعالى بصورة تحرك الجوارح ، وتحملها على النزول على حكم الله تعالى في كل ما تأتي وما تدع .

وما من شك في أن امتلاء القلب بمحبة الله وتعظيمه إنما تكون وليدة رؤية نعمة الله التي تغمرنا وتحيط بنا سواء في النفس أو في الكون ، وقد وضع القرآن الكريم أيدينا على هذه النعم في كل سورة من سوره ، إذ قلَّ أن تمر في القرآن الكريم سورة إلا وهي متضمنة الحديث عن هذه النعم : نعمة الخلق ، ونعمة الرزق ، ونعمة العافية ، ونعمة الأمن ، ونعمة المنهج ، ونعمة الرسول المبين لهذا المنهج ، ونعمة التسخير ، ونعم أخرى لا تعد ولا تحصى ، كما قال سبحانه :

"وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة" (لقمان : ٢٠)

"وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار"

(إبراهيم : ٣٤)

"وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم"

(النحل : ١٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجعل ثمرة رؤية هذه النعم في الخضوع والانقياد والاستسلام لله عز وجل ، والنزول على حكمه سبحانه ظاهرا وباطنا ، في كل ما نحب ونكره في كل ما نأتي وندع، فقال سبحانه بعد أن ذكر أصنافا من النعم في سورة النحل ، وتسمى بسورة النعم كذلك ، قال :

"كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" (النحل : ٨١)

أما حقيقة مبطلات الإيمان والإسلام الشرك بالله تعالى فيتلخص في : أن يجعل المرء نصيبا لغير الله في كل ما يصدر عنه من أقوال ، وأفعال ، وسلوكيات ، وخواطر ظاهرة كانت أو باطنة .

ولهذا الشرك صور ومظاهر كثيرة تدل عليه ، نذكر منها :

٣- محبة وطاعة الآباء ، والأبناء ، والإخوان ، والأزواج ، والعشيرة :

ونحوها بصورة تساوي محبة وطاعة الله والرسول إن لم تزد عليها ، قال تعالى:

"ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله"

(البقرة : ١٦٥)

"قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين"

(التوبة : ٢٤)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ، ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ، مناع للخير معتد مريب ، الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد"

(ق : ٢٣ : ٢٦)

وسئل ﷺ : أي الذنب أعظم ؟ قال : "أن تجعل لله ندا وهو خلقك . . ." الحديث (١) .

وقال ﷺ لحصين ، والد الصحابي الجليل : عمران : "كم تعبد من إله ؟" قال : سبعا في الأرض ، وواحدا في السماء ، قال ﷺ : "فإذا أصابك الضر من تدعو ؟" قال : الذي في السماء ، قال ﷺ : "فإذ هلك المال ، من تدعو ؟" قال : الذي في السماء ، قال ﷺ : "فيستجيب لك وحده وتشركهم معه . . . أرضيته في الشكر ، أم تخاف أن يغلب عليك ؟" قال : ولا واحدة من هاتين ، قال الحصين : وعلمت أني لم أكلم مثله ، قال ﷺ : "يا حصين أسلم تسلم . . . " الحديث (٢) .

٢- الاستعانة أو الاستغاثة بغير الله تبارك وتعالى :

قال ﷺ لابن عباس :

". . . إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف" (٣) .

---

(١) الحديث رواه البخاري في : صحيح : كتاب التفسير : سورة البقرة : ١٦٢٦/٤ رقم ٧ ، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا إلى النبي ﷺ .

(٢) الحديث جزء حديث طويل أورده ابن حجر في : الإصابة : ٣٣٨/١ : ٣٧٧ رقم ١٧٣٥ وعزاه إلى ابن خزيمة .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في السنن : ٦٦٧/٤ رقم ٢٥١٦ ، وقال : "حديث حسن صحيح" ، وأحمد في المسند : ٢٩٣/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإذا دعا الإنسان مع الله غيره فقد أشرك ، إذ الاستعانة أو الاستغاثة لا تكون إلا بالله ، فقد كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ :

"إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله"(١) .

ويدخل في هذا النوع من الشرك : الاستعانة بالكهان ، والعرافين ، والمنجمين ، وقارئي الكف ، ومخططي الرمل ، وضاربي الودع ، والسحرة ، وغيرهم ، فإن هؤلاء لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، فضلا عن أن يملكوا ذلك لغيرهم .

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

"من أتى كاهنا وصدقه بما يقول ، أو أتى امرأته حائضا ، أو أتى امرأته في دبرها فقد برئ مما أنزل الله على محمد"(٢) .

وعن صفية ، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ :

"من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"(٣) .

"من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"(٤) .

٣- الغلو أو المبالغة في تعظيم الأشخاص ، ولاسيما الموتى منهم :

إذ جاء عنه ﷺ قوله :

---

(١) الحديث أورده ابن تيمية في : مجموع الفتاوى : ١/٣٠٣ ، وعزاه إلى الطبراني في : المعجم الكبير من حديث أبي بكر مرفوعا .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في السنن : كتاب الطب : باب في الكاهن : ٤/٢٢٥، ٢٢٦ رقم ٣٩٠٤ .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند : ٤/٦٨ ، ٥/٣٨٠ بهذا اللفظ .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند : ٢/٤٢٩ من حديث أبي هريرة مرفوعا بهذا اللفظ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله"(١) .

"لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا عليَّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"(٢) .

وجاء أناس إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال ﷺ : "يا أيها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزوجل . . . " .

وفي رواية أنه قال لهم :

"السيد الله تبارك وتعالى"(٣) .

٤- الحلف بغير الله تبارك وتعالى :

إذ الحلف تعظيم ، والتعظيم لا يكون إلا للحق تبارك وتعالى ، يقول النبي ﷺ :

"من كان حالفا ، فلا يحلف إلا بالله"(٤) .

"من حلف بغير الله فقد أشرك"(٥) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : ٢٠٤/٤ ، وأحمد في المسند : ٢٣/١ كلاهما من حديث ابن عباس مرفوعا .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في السنن : ٢١٨/٢ رقم ٢٠٤٢ ، وأحمد في المسند : ٣٦٧/٢ كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند : ١٥٣/٣ من حديث أنسي ابن مالك مرفوعا بهذا اللفظ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الشهادات ٢٣٥/٣ ، وأحمد في المسند ٩٨/٢ ، كلاهما من حديث عمر مرفوعا .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في السنن : ٢٢٣/٣ رقم ٣٢٥١ ، وأحمد في المسند : ٤٧/١ كلاهما من حديث ابن عمر مرفوعا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- الذبح لغير الله تبارك وتعالى :

إذ إن الذبح قربة ، والقربة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى يقول ﷺ :

"لعن الله من ذبح لغير الله"(١) .

ومن أجل هذا نهى الله عزوجل عن أكل كل ما ذبح لغير الله ، فقال سبحانه:

"قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به"

(الأنعام : ١٤٥)

"لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق"

(الأنعام : ١٢١)

٦- اتخاذ بعض البشر من رجال الدين ، أو من رجال الدنيا مصدر التشريع :

يحرمون ، ويحلون بغير ما أنزل الله ، ثم طاعتهم فيما يشرعون ، وإن خالف شرعهم شرع الله سبحانه وتعالى ، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية :

"اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم"

قال : فقلت له : أي للنبي ﷺ إنا لسنا نعبدهم ، فقال عليه الصلاة والسلام :

"أليسوا يحرمون ما أحل الله ، فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟"

قلت : بلى ، قال : "فتلك عبادتهم إياهم"(٢) .

---

(١) الحديث جزء حديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الأضاحي ١٥٦٧/٣ رقم ٤٣-٤٥ ، وأحمد في المسند : ١٠٨/١ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة التوبة ٢٧٨/٥ رقم ٣٠٩٥ ، وأورده ابن كثير في : تفسير القرآن العظيم ٣٤٨/٢، ٣٤٩ على أنه قطعة من حديث طويل قائلا : (روى =

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧- فعل الطاعات ، وإتيان أعمال البر والمعروف من أجل الناس :

إما للثناء والمحمدة ، والذكر الحسن ، وإما عصبية ، وإما طمعا فيما في أيديهم، وإما غير ذلك ، عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال :

"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"(١) .

وعن محمود بن لبيد قال : خرج النبي ﷺ فقال :

"يا أيها الناس ، إياكم وشرك السرائر" ، قالوا : يا رسول الله ، وما شرك السرائر ؟ قال : "يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر"(٢) .

□ سبيل التخلص بل الوقاية من مبطلات الإيمان والإسلام (الشرك بالله تعالى) :

وسبيل التخلص ، بل الوقاية من مبطلات الإيمان والإسلام (الشرك بالله تعالى) إنما تتلخص في اتباع الخطوات التالية :

أولاً : إدراك عواقب الشرك وآثاره الضارة المهلكة ، وأهمها :

١- القلق والاضطراب النفسي ، وهذا ما تلمحه من قوله سبحانه :

"الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون"

(الأنعام : ٨٢)

-الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام .) الحديث .

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الجهاد ٤/٢٤، ٢٥ من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعا .

(٢) الحديث أورده المنذري في الترغيب والترهيب ١/٦٨ رقم ٢١ ، وعزاه إلى ابن خزيمة في صحيحه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه"

(التغابن : ١١)

٢- إحباط العمل ، وبطلانه ، ورده على صاحبه ، وإن كان كالجبال ، كما قال الحق تبارك وتعالى :

"وقد خاب من حمل ظلما" (طه : ١١١)

"وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا"

(الفرقان : ٢٣)

"إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"

(النساء : ١١٦)

كما قال رسول الله ﷺ :

"إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال ﷺ : "الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة ، إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذي كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء"(١) ، يقول الله تعالى : "أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء ، وهو للذي أشرك"(٢) .

٣- الحرمان من الهداية والتوفيق ، ذلك أن الله عز وجل هو وحده الذي يملك الهداية والتوفيق ، وهو وحده الذي يمن بهما على من يشاء لا راد لقضائه ، ولا

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند : ٥/٤٢٨، ٤٢٩ ، من حديث محمود بن لبيد مرفوعا .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب من أشرك في عمله غير الله ، وفي نسخة : باب تحريم الرياء ٤/٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥ / وابن ماجة في السنن : ٢/١٤٠٥ رقم ٤٢٠٢ كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعا به وبنحوه ، واللفظ لمسلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معقب لحكمه ، وقد مضت سنته وجرى قضاؤه أنه لا يمنحهما إلا لمن علم منه صدق الإخلاص ، وحسن التوجه ، كما قال سبحانه :

"ويهدي إليه من أناب" (الرعد : ٢٧)

"ويهدي إليه من ينيب" (الشورى : ١٣)

ومن بدد هذا الإخلاص ، وذلك التوجه ، فقد حرم نفسه من الهداية والتوفيق ، وصدق رب العزة إذ يقول :

"فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين"

(الصف : ٥)

"قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا"

(مريم : ٧٥)

٤- نزع الهيبة من قلوب الناس ، وذلك أن الله وحده هو الذي يملك غرس هذه الهيبة في قلوب من يشاء من عباده ، بيد أن ذلك مرهون بتقديم الإخلاص بين يدي كل سلوك ، أو تصرف ، والمشرك أضاع هذه الرهينة ، فضيع الله عليه الهيبة ، ونزعها من قلوب الناس ، فصار هينا عليهم :

"ومن يهن الله فما له من مكرم"

(الحج : ١٨)

٥- تأخر المجتمع وانحطاطه ، ذلك أن المشرك إنما يراقب الخلق ولا يراقب الخالق ، والخلق مهما كانت طاقاتهم ، وإمكاناتهم عاجزون عن المتابعة في كل بيئة ، وفي كل وقت ، وفي كل ظرف أو ملابسة ، وتكون النتيجة عدم إتقان العمل ، وإجادته ، الأمر الذي يؤدي إلى انحطاط المجتمع وتأخره ، وبالتالي سيطرة الأعداء والخصوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- الفرقة والتمزق ، ذلك أن الوحدة الحقيقية إنما تبدأ بوحدة القلوب وقلوب العباد جميعا بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء ، وقد مضت سنته سبحانه في خلقه أن يؤلف بين قلوب الموحدين الطائعين وأن يباعد بين قلوب المشركين العصاة ، فيقول سبحانه :

"وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم"

(الأنفال : ٦٣)

"واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا" (آل عمران : ١٠٣)

ويقول سبحانه عن المشركين والمنافقين :

"تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى"

(الحشر : ١٤)

ويقول النبي ﷺ : "والأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف"(١) .

أجل ، لابد من النظر في هذه العواقب باستمرار ، حتى يتحرك القلب فيحرك الجوارح ، فيكون التطهر من الشرك بإذن الله .

ثانياً : معرفة الله - عزوجل - حق المعرفة ، فإن هذه المعرفة تعين على تقدير الله حق قدره ... الأمر الذي يعين على التخلص من الشرك ، وخير وسيلة لهذه المعرفة العيش مع الحق - تبارك وتعالى - في كونيه : المسطور والمنظور ، وصدق الله الذي يقول :

---

(١) الحديث جزء حديث أخرجه مسلم في الصحيح : ٤/٢٠٣١، ٢٠٣٢ رقم ١٦٠ من حديث أبي هريرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"

(فصلت : ٥٣)

"وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون"

(الذاريات : ٢٠،٢١)

ثالثاً : دوام النظر أو السماع للنصوص المحذرة من الشرك ، والداعية إلى التوحيد والإخلاص ، فإن بداية الإقلاع عن الأخطاء ، والالتزام بالصواب إنما تكون بوضوح الرؤية ، ودقة التصوير ، إذ أن من جهل شيئا عاداه كما يقول الحق تبارك وتعالى :

"بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله"

(يونس : ٣٩)

رابعاً : محاسبة النفس أولاً بأول للوقوف على عيوب هذه النفس ، ثم التخلص منها ، ولقد أمرنا الله عز وجل بهذه المحاسبة حين قال :

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون"

(الحشر : ١٨ : ٢٠)

خامساً : اللجوء التام إلى الله - عز وجل - . والاستعانة به سبحانه وتعالى . فإن من لجأ إلى الله ، واستعان به ، وكان صادقا في ذلك أيده الله وأعانه ،وصدق رسول الله ﷺ إذ خطب ذات يوم فقال :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل" ، فقال له من شاء أن يقول : وكيف نتقيه ، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : "قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه"(١) .

سادساً : التذكر بأن كل شيء في هذا الكون يجري بقضاء وقدر ، كما قال سبحانه وتعالى :

"ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم"

(الحديد : ٢٢،٢٣)

وأن الخلق مهما كانت قوتهم ، ومهما كان سلطانهم عاجزون عن أن يجلبوا لأنفسهم نفعا . أو يدفعوا عنها ضرا ، فضلا عن أن يملكوا ذلك لغيرهم كما قال سبحانه وتعالى :

"إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين" (الأعراف : ١٩٤)

"إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا" (الجاثية : ١٩)

وإذا كان هذا هو شأن الخلق ، فكيف نشركهم مع الله في العبادة والتوجه ؟

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند : ٤٠٣/٤ من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعا ، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب : ٧٦/١ ، وعزاه إلى أحمد والطبراني .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المراجع

١- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، طبعة الحلبي، سنة ١٣٤٩هـ.

٢- تأويل مختلف الحديث، تأليف الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، طبع بدار الجيل، بيروت، سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣- تلخيص الحبير تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ بن حجر العسقلاني، نشره عبد الله هاشم اليماني، سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٤- جامع الأصول من أحاديث الرسول للإمام أبي السعادات بن الأثير الجزري، طبع بمطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

٥- خصائص المسند - يعني مسند الإمام أحمد، للحافظ أبي موسى المديني، مطبوع ضمن طلائع المسند، الطبعة الثالثة بدار المعارف بمصر، سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

٦- سنن أبي داود بشرحه عون المعبود، لابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، نشر المدني، سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٦٨م.

٧- سنن الدرامي، للحافظ أبي محمد الدرامي، نشره عبد الله هاشم اليماني، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٨- سنن النسائي (المجتبي)، للحافظ أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي طبع البابي الحلبي، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٩- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، مطابع الشعب، سنة ١٣٧٨هـ.

١٠- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، طبع الحلبي، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١- شرح السنة للبغوي الحافظ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، الطبعة الأولى ، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

١٢- شرح النووي على مسلم للإمام يحيى بن شرف النووي ، طبع بمطبعة الشعب، سنة ١٣٩٠هـ .

١٣- شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العبد ، للحافظ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة .

١٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ بن حجر العسقلاني ، طبع بالسلفية بالقاهرة .

١٥- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، لليخ محمد جمال الدين القاسمي ، الطبعة الثانية بمطبعة البابي الحلبي ، سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .

١٦- كتاب الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ، مصور عن المخطوطة رقم ١١٣١ بالمكتبة الظاهرية ، مجموع ١١٥ .

١٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الجزء رقم ١،٢ طبع بدار المعارف ، الثالثة ، سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م ، وما تبقى منه الطبعة الميمنية .

١٨- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، لمحمد بن علي الشوكاني ، الطبعة الأخيرة بمطبعة البابي الحلبي ، سنة ١٣٨٠هـ .

١٩- الاعتصام ، للإمام الشاطبي ، مطابع شركة الإعلانات بالقاهرة .

٢٠- الاقتصاد في الاعتقاد للشيخ أبي حامد الغزالي ، طبع بمطبعة الحلبي بالقاهرة، سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .

٢١- الرد على من يقول القرآن مخلوق ، لأبي بكر سليمان النجاد ، مصور عن المخطوطة مجموع رقم ١٧ بالمكتبة الظاهرية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٢- الرسالة التدمرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعة الثانية مطبعة السنة المحمدية ، ضمن مجموعة النفائس ، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م .

٢٣- الشريعة ، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

٢٤- الصواعق المنزلة ، لابن قيم الجوزية ، طبع بمكة سنة ١٣٤٨هـ .

٢٥- العقائد النسفية ، بشرح التفتازاني ، عن طبعة سنة ١٣٢٦هـ أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد .

٢٦- المعتزلة ، لزهدي حسن جار الله ، طبع بمطبعة مصر بالقاهرة ، سنة ١٣٣٦هـ - ١٩٤٧م .

٢٧- الفتوى الحموية الكبرى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، ضمن مجموعة النفائس ، بمطبعة السنة المحمدية ، سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .

٢٨- بغية المرتاد ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٦١هـ .

٢٩- تأنيب الخطيب ، للشيخ محمد زاهد الكوثري ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦١هـ .

٣٠- شرح العقيدة الطحاوية ، من منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، الطبعة الثالثة .

٣١- عقائد السلف ، لمجموعة من الأئمة :

(أ) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل .

(ب) خلق أفعال العباد للبخاري .

(ت) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية . . . لعبد الله بن قتيبة .

(ث) رد الإمام الدارمي على المريسي ، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٧١م .

٣٢- عقيدة أهل السنة والجماعة ، تأليف أحمد بن حنبل طبع ضمن مجموعة شذرات البلاتين ، بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٣- كتاب الإيمان ، للقاضي أبي يعلي الفراء ، مصور على المخطوطة رقم مجموع ٤٢ بالمكتبة الظاهرية .

٣٤- كتاب السنة ، تأليف الإمام أحمد بن حنبل ، برواية الرافعي ، مطبوع ضمن شذرات البلاتين ، بمطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، وبرواية الأنداراني، مطبوع بترجمته بكتاب طبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلي الشهيد ١/٢٩٥ .

٣٥- كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ، للإمام علي بن حزم الظاهري .

٣٦- وبهامشة كتاب الملل والنحل ، للشهرستاني ، أعيد طبعه بالأوفست بمكتبة المثنى ، بغداد .

٣٧- كتاب المعتمد في أصول الدين ، للقاضي أبي يعلي الفراء الحنبلي ، مصور عن المخطوطة رقم ٢٩٥٤ بالمكتبة الظاهرية .

٣٨- كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشيخ عبد الكريم الشهرستاني ، مصور عن طبعة أكسفورد سنة ١٣٥٣هـ .

٣٩- مختصر شعب الإيمان للبيهقي ، لأبي جعفر عمر القزويني ، طبع بالمطبعة المنيرية سنة ١٣٥٦هـ .

٤٠- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، للشيخ أبي الحسن الأشعري ، الطبعة الثانية بمطبعة السعادة سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

٤١- وصية الإمام أبي حنيفة إلى أصحابه ، مطبوعة ضمن الطبقات السنية في تراجم الحنفية بدار التراث ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

تم بحمد الله

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner